الأحد.. وكل يوم أحد

وقفة لا بد منها مع تصريحات طاهر المصري

المحامي زياد أبو زياد

توقفت كثيرا عند التصريحات التي أدلى بها طاهر المصري رئيس الوزراء الأردني الأسبق ونشرتها صحيفة القدس يوم الجمعة أول من أمس ، وخاصة ما أشار إليه من فتور في العلاقة الأردنية الفلسطينية الرسمية ، والقيود التي تفرض نفسها على قدرة الأردن على الرد على استمرار المساعي الإسرائيلية لتغيير الأمر القائم في المسجد الأقصى ، ومستقبل الصراع بشكل عام.

وقبل التعليق على هذه التصريحات لا بد من التنويه وخاصة للقراء الشباب الذين لا يعرفون طاهر المصري بأن هذا الرجل هو رئيس وزراء سابق ووزير خارجية سابق ورئيس لمجلس الأعيان الأردني الذي يعتبر تجمعا وناد لكبار المسؤولين الأردنيين السابقين وهو أشبه بمجلس اللوردات أو الكونجرس مع الإختلاف في قوة الصلاحيات.

وطاهر المصري هو سليل أسرة نابلسية عريقة في السياسة والدبلوماسية نشأ وترعرع في أحضانها ، وكان والده المرحوم حكمت المصري من أهم الشخصيات الفلسطينية الأردنية إبان العهد الأردني قبل عام ١٩٦٧ وبعد ذلك ، وسبق أن كان رئيسا لمجلس النواب الأردني وحظي باحترام الجميع على جانبي النهر وهو من أبرز الشخصيات الفلسطينية على الإطلاق.

وما أريد أن أقوله بعد هذا التعريف هو أن طاهر المصري يتقن فن السياسة والدبلوماسية والمسؤولية وبالتالي فإن أي موقف أو تحليل يصدر عنه يجب أن يؤخذ بالجدية والإهتمام الكافي. ولذا فإن القول بأن العلاقات الرسمية الفلسطينية الأردنية فاترة باللغة الدبلوماسية ! يمكن أن يكون باللغة غير الدبلوماسية..باردة !.. وهذا أمر يجب أن يثير القلق والإهتمام على كافة المستويات الرسمية والشعبية الفلسطينية ، لأن العلاقة الفلسطينية الأردنية هي علاقة استراتيجية مصيرية ولا يجوز لأحد أيا كان موقعه أو صفته أو تأثيره أن يقبل ببرود أو فتور هذه العلاقة.

والغريب أن ما يصدر من تصريحات رسمية فلسطينية لم يُشر من قريب أو بعيد إلى مثل هذا " الفتور" في العلاقة بل إن ظاهر الأمر يكاد يوحي بأن كل شيء على ما يُرام. ولكن المصري الذي هو على دراية بحقائق الأمور أكثر من غيره ، هو الأعلم بطبيعة هذه العلاقة. وعلى القيادة الفلسطينية في غمرة انشغالها في الأمور الداخلية سواء على صعيد الصراع بين الأفراد على الكراسي أوالمواقع أو الصراع بين القوى والفصائل على السلطة والنفوذ غير الموجود أصلا على أرض الواقع ، أو الانشغال بالهموم اليومية للسلطة ، أن يُدركوا أهمية التلاحم الفلسطيني الأردني الذي هو ضرورة حيوية ووجودية للطرفين, والقيادة الفلسطينية مطالبة أن توضح الحقيقة ردا على ما قاله الأخ طاهر المصري والذي لم يأت من فراغ.

ومما يبعث على الحزن والقلق في آن واحد هو أن تتفشى عقلية وفلسفة .." كل واحد يقلع شوكه بيده " ...وهذه العقلية تنسى أو تتناسى مقولة ابن بطوطة .." ألا إني أكلت يوم أكل الثور الأبيض " ..وقد قالها الثور الأسود حين سمح للأسد بافتراس رفاقه بدءا بالثور الأبيض إلى أن جاء دوره فأدرك خطأ التخلي عن أهله وعشيرته فطلب من الأسد قبل أن يفترسه أن يسمح له بأن ينهق بهذه العبارة !...ولا شك أن تصويب ودفء العلاقة مع الأردن يسهم في التصدي لمثل هذه الفلسفة أو العقلية .

والموضوع الآخر الذي لم يتردد المصري في الإشارة إليه وهو أن الدور الأردني ليس حرا في الرد على السياسة الإسرائيلية إزاء المسجد الأقصى والقدس وأن الأردن أصبح مقيدا بمشاريعه الأقتصادية الضخمة مع إسرائيل وخاصة في مجالات الغاز والمياه والمناطق الحرة وغيرها ، وأن أي رد من جانبه سيكون متوازنا بين السياسة والإقتصاد.

وهذا يعني أن الرد الأردني على الممارسات الإسرائيلية لن يتجاوز حدود العمل الدبلوماسي والسياسي وبالتالي وعلى الأغلب فإن إسرائيل لن تتراجع عن أعمالها وممارساتها في القدس والضفة ، وستمضي قُدما في سياستها لتهويد الأقصى وسط الضجيج السياسي العربي بشكل عام ، مستغلة حالة الفوضى والتشرذم التي تعم الساحة العربية.

هذه الصورة قاتمة تماما وتبعث على الأرق .

لقد استمعت يوم الخميس الماضي إلى كلمة رئيس الوزراء د. رامي الحمد الله الجريئة المقتضبة والواضحة في نفس الوقت ، والتي ألقاها في حفل استقبال أقامه القنصل الأمريكي الجديد دونالد بلوم في رام الله حين رد الحمد الله على إسهاب القنصل الأمريكي في الحديث عن المساعدات الإقتصادية التي تقدمها أمريكا للسلطة الفلسطينية ، فقال الحمد الله بأننا نقدر هذا الدعم ولكننا نريد التدخل والعمل السياسي الأمريكي لإنقاذ حل الدولتين الذي يبدو أنه - كما أكد الحمد الله - لم يعد قائما ، ولرفع الحصار والمعاناة عن شعبنا في قطاع غزة.

وحديث الحمد الله عن انتفاء حل الدولتين بسبب السياسة التوسعية الإستيطانية الإسرائيلية يلتقي تماما مع ما قاله طاهر المصري في المقابلة آنفة الذكر من أنه لا يوجد أساسا حلول ، فالتسوية بعيدة المنال وعملية السلام ، عمليا جرى إغلاق ملفها إلى أجل غير مسمى .

* الهجمة الإسرائيلية في ذروتها مع أنها لم تبلغ ذروتها القصوى بمعنى أن القادم أسوأ ، ومع ذلك ما نسمعه من القيادة يوحي وكأن كل شيء كالمعتاد . ومع ذلك فإن من حقنا أن نتساءل : إلى أين نحن ذاهبون !..وسنظل نتساءل إلى أن نسمع الجواب الذي يحترم عقولنا ويواجهنا بالحقيقة . وهو أهم من كل النقاشات الجارية والتي تدور حول أمور لا قيمة لها إذا ضاع الوطن وانتهت القضية ونحن مشغولون بالجدل البيزنطي الذي لا نهاية له حول الإنقسام والمنظمة والمجلس الوطني وغير ذلك ، والذي يذكرنا بالجدل الذي كان في أوروبا ذات يوم حول كم شيطان يمكن أي يقف أو يرقص على رأس الدبوس .

العرب من الزمان الثوري إلى الزمان الفوضوي!

محمد الرميحي

قد يذهب في سجل التاريخ العربي القادم أشخاص مثل الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك، أو الرئيس التونسي الأسبق زين العابدين بن علي، على أنهم أكثر رؤساء الجمهوريات الخيرين في القرن الواحد والعشرين العربي، لم يُقتل أثناء عمليات تغييرهم إلا عشرات!! وقد يستدعي التاريخ شخصية أحمد باشا الجزار (البوشناقي) أو شخصية جمال باشا السفاح، ليقارنهما بجانب شخصيات مثل ميشال عون، ونوري المالكي، وبشار الأسد، وعلي صالح.. مثلهم مثل سابقيهم، البوشناقي والسفاح لديهم مشروع حكم لا مشروع دولة، ويسعون إلى هدفهم بالحديد والنار والدم. البوشناقي سُمي أحمد باشا الجزار، لأنه بالفعل كان جزارا للآدميين في عصره، وهو الذي اعتنق الإسلام وصعد في سلم السلطة، كما كان غيره في ذلك الوقت، بالسيف لا بغيره، أما السفاح فما زالت ساحة الشهداء في بيروت تتذكر الرجال الذين علقهم من أعناقهم هناك.

العرب في مطلع القرن العشرين يخرجون إلى الشوارع في مظاهرات كبيرة أو صغيرة للمطالبة بالاستقلال، أو من أجل التخلص من حاكم ظالم، اليوم أصبحت المظاهرات تحشد من أجل أن تقوم الدولة بإزالة ركام «الزبالة» من الشوارع أو بتوصيل الكهرباء والماء للناس، حتى لا يفطسوا حرًا أو يموتوا بماء ملوث، كما يحدث في لبنان والعراق.

لنبدأ بلبنان، هذا البلد الذي كان جميلاً، قام ميشال عون وأنصاره في حزب الله، بسلب الدولة كل مقدراتها وأقعدوها عن أصغر مهماتها، وهي حفظ الأمن، وتصريف «الزبالة» وانتخاب رئيس للجمهورية «المعترة»، وعندما قرر البعض أن يُعلي من صوته احتجاجًا على الأوضاع المعيشية المتردية، التي جعلت المواطن اللبناني أمام خيارين للموت، إما أن يموت جوعًا، أو يموت في ساحات القتال، مشتبكًا في حرب لا ناقة له فيها ولا جمل في أحراش سوريا. بين هاتين المعضلتين، تندفق أفواج «الزبالة» مقرونة بـ«البطالة» على عاصمة «النور» العربية، ولما صعّد المحتجون موقفهم قرفًا من كل من الزبالة والسياسيين، تدخلت مجموعة «عون» لتخرب المسيرة وحرفها إلى مقاصد تخدم الشهية للحكم، وتحاصر مقر الحكومة، وتطالب الحكم بالزوال، من أجل الدخول في فوضى أكثر مما هي عليه، أو أن يصل إلى سدة الرئاسة «عون»، فهو ممر لازم لها!! العجيب في الأمر أن عون كان في يوم من الأيام قائدًا للجيش اللبناني، وأثبت وقتها أنه لا يتوفر على خطة يعرفها الضباط الصغار في أي صراع، وهي «استراتيجية الخروج»، فعندما قصفت مقره الدبابات السورية هرب دون خطة إلى السفارة الفرنسية. بقية القصة معروفة. فهل يجوز أن يصل مثل هذا الشخص الذي تكرر عدم قدرته على وضع خطط بديلة أكثر من مرة، إلى رئاسة الجمهورية، وهو اليوم يريد أن يهدم ما بقي من هيكل الدولة اللبنانية على رأس الجميع، مرة أخرى دون «خطة بديلة واضحة».. إما أنا أو تخرب الدولة؟

نوري المالكي بعد «خراب البصرة» يطالب محازبوه اليوم بأن لا يحاكم على خطاياه، لأنه «معصوم» من المساءلة، وقد ترك بفطنته الفذة العراق يغرق في الطائفية، كما أهمل قراءة مطالب المعتصمين في الأنبار تحت الشمس الحارقة لسنتين، ومن بعدها هرب جيشه أمام جحافل «تيار تتاري جديد». سولت له نفسه أنه يستطيع أن يحكم بنفسه، ونسي بناء الدولة، واختار لحزبه (الذي يسيره هو فقط) اسمًا مفارقًا (دولة القانون)، ولا أحد يعرف أي قانون يقصده السيد المالكي، إلا إذا كان: «كيف تتفادى تطبيق القانون». الشقُّ الذي خلفه حكم المالكي في العراق ليس من السهولة رتقُه، حتى لو توفرت كل النيات الحسنة، وما ظهر في الأيام الأخيرة من رفض العراقيين كل تلك الشعارات إلا رأس جبل الثلج. لقد غُيب الشعب العراقي عن تقرير مصيره، وهو الآن يبدأ الخطوات الأولى في تحديد ذلك المصير، رغم كل ما هو ظاهر في وسط العاصمة، بغداد. ما زال نوري يوزع التُهم على الجميع ونسي نفسه، وآخر صيحاته أنه وضع «المرجعية العراقية» بالتضاد مع «المرجعية الإيرانية» عندما لجأ إلى الأخيرة لإنقاذ جلده. السؤال هنا: كم من الأرواح العراقية قد أزهقت في السنوات الثماني العجاف التي تسنم فيها السيد المالكي (صاحب العصمة) الحكم في بغداد، وكم من مليارات الدولارات من أموال الشعب العراقي أهدرت أو سرقت؟ وما زالت بغداد، وليس قرى العراق ونواحيها، بغداد العاصمة، بلا كهرباء ولا ماء نقي!! ولا حتى فرص عمل للشباب. أمامكم الحشد الشعبي مرة أخرى على الطريقة العونية/ حزب الله، إما أن تموتوا من الحر والعطش، وإما أن تُموتوا مع الحشد الشعبي، يا له من خيار في طرائق فراق الحياة!

إذاً وصلنا إلى بشار، ففيه الكثير مما يناقض اسمه، إلا إذا كانت اللغة العربية تحتمل التناقض، فيقال للأعمى: «بصير»، ويقال لنعيق البوم: «بُشرى»، أكثر الطيور التي تتكاثر في مدن وأنحاء سوريا اليوم هي البُوم، لأنها بطبيعتها تحب الخرائب، ليس أكثر من الخرائب التي خلفتها براميل بشار الأسد الهاطلة على رأس الشعب السوري كل يوم وفي كل مكان وركن من المدن والمناطق السورية. وتحدثنا المصادر الدولية عن أن من قُتل في سوريا حتى الآن فاق الربع مليون من البشر، معظمهم عُزل. لا بد من القول إن النظام السوري قد اجتاز خط اللاعودة، وإن المعارضة المسلحة التي تواجهه هي نتيجة طبيعية لصلفه سنين طويلة، فالنظام عادة ما يخلق معارضته، خاصة إذا كان هذا النظام قد وقف طويلاً على تخوم فارغة تتدثر بالشعارات، وتضمر بقاء حكم التسلط دون بناء الدولة. أما إذا توجهنا جنوبا فإننا نجد شخصا آخر يشابهه من حيث الجوهر الثلاثة السابقين، علي صالح، فبعد أكثر من ثلاثين عامًا من الحكم، خلف أكثر من نصف الشعب اليمني تحت خط الفقر، وبعد هبة شعبية اقتلعته، عاد مرة أخرى، بالشعار نفسه: إما أن أحكمكم أو أقتلكم. وهكذا تحالف مع مجموعة مسلحة للانقلاب على الانتفاضة الشعبية، ثم طارد رئيسًا منتخبًا من الناس انتخابا حرًا، وأفشل جنينًا يمنيًا لحكم توافقي عصري، لبناء دولة، وهذا هو الشعب اليمني يدفع ثمن ذلك الصلف مثل لبنان وسوريا والعراق. الدراسات العالمية للدول الفاشلة تؤشر على الدول الأربع بأنها دول فاشلة، ربما بسبب تلك الزعامات الفاسدة التي لم تفرط فقط في حقوق شعبها الإنسانية، بل وفرّطت حتى في مده بالماء أو الكهرباء أو بفرض عمل شريفة، لم يكن لديها غير الحكم للفرد وحمل السلاح.. يا قاتل يا مقتول. أليس ما نعايشه عصرًا عربيًا لا معقولا، ويمكن بالمقارنة أن نترحم على الجزار والسفاح، فقد كانت أعمالهما في التاريخ، على بشاعتها، قد كلفت عددًا أقل بكثير من الضحايا لا يرقى إلى ما يفعله السفاحون الجدد؟!!

آخر الكلام:

في حديث بشار الأسد لـ«المنار» الأسبوع الماضي، عاب على بعض المعارضة السورية أنها تستغيث بالخارج، وفي المقابلة نفسها شكر حزب الله وإيران وروسيا، على مساعدته، فهل هم «مواطنون سوريون»؟! الإفلاس يفعل العجائب!

ملف نووي جديد فوق الطاولة

د. نسيم الخوري

«نعيش في زمن عجيب، حيث القوي ضعيف جراء تردده، والضعيف قوي جراء جرأته المتهورة». هذا جواب لهنري كيسنجر استعاره من بسمارك رداً على سؤال: هل تتمكن الصين وأمريكا من اجتراح استراتيجية لكوريا منزوعة السلاح النووي؟ هذا السؤال الاستشرافي طرحه في بداية الـ٢٠١٤ أي قبل التفاهم النووي بين إيران والـ٥+١.

منذ ثلاثين عاماً استقبلنا الرئيس الكوري كيم إيل سونغ. قدمنا إليه هدية من حرفية جزين اللبنانية. أفهمنا المرافقون، أن الرئيس يرى بعض الضيوف ولا يستقبل هداياهم، بل تودع كلها في معرض خاص شعبي هو كناية عن قصر رائع أدهشنا فرميده الكحلي. اللافت في المعرض أن الأجنحة الأكثر ضخامة وأبهة هي الروسية والإيرانية والسورية، وترفع فيها الصور العملاقة للإمام الخميني والرئيس حافظ الأسد وزعماء الاتحاد السوفييتي قبل البيروسترويكا. يومها همست في أذن زوجتي: لا أفهم شيئاً. نحن في القلعة الغامضة الأخيرة للتوترة بين الشرق والغرب، القائمة في صمت مريب وديكتاتورية مخيفة على وقع الأوبرا والأناشيد الوطنية. وكان جوابها: ليس من الضروري أن تفهم كل شيء.

سأحاول الفهم، بعد عقود ثلاثة، فأضيء الحاضر بالماضي، خصوصاً بعدما راح العالم يتطلع إلى هناك، ولأسباب ثلاثة:

١- خطف تبادل القصف بين الكوريتين الأسبوع الفائت عين العالم توجساً من ملامح حرب عالمية ثالثة، غالى به العرب. وكل ما في الأمر أن لغماً انفجر بجنديين في كوريا الجنوبية التي اتهمت كوريا الشمالية بالأمر، فجاءها رد الفعل سريعاً بقصف مدفعي عنيف طال يون شيون ومكبرات الصوت المزروعة على الحدود.

٢- بعدما توصلت إيران في تموز الفائت إلى اتفاق مع دول مجموعة الـ٥+١ عبر مفاوضات طويلة في الملف النووي، خرجت كوريا الشمالية في الشهر عينه لتعلن أنها غير مهتمة بأي علاقة مع العالم على غرار إيران، معتبرة أن النووي لديها هو رادع ضروري ضد عدائية أمريكا ومعلنة «إننا قوة نووية والقوى النووية لها مصالحها الخاصة».

٣- ترتفع أصوات كثيرة معارضة لإيران في الغرب والشرق، تتهم طهران وكوريا الشمالية بالتعاون القديم الواسع والمتجدد في مجال السلاح النووي والصواريخ البالستية، وتشير إلى قيام البعثة النووية الكورية بزيارات ثلاث إلى طهران في ٢٠١٥. وتذهب التحليلات إلى القول بسياسة التكامل والتعويض المتبادل الملغز بين الدولتين.

مهما صدقت الأسباب وتعددت، يفترض بالكتابة عن الكوريتين الشمالية والجنوبية، أن تمر بهدوء في مجريين أساسيين قبل المجاري الإيرانية السورية الفرعية:

مجرى موسكو الإلزامي بالمعاني كلها، في الطريق لزيارة كوريا الشمالية، ومجرى الصين التي تظل على ظلالها «الإمبراطورية» من هناك، فتلامس أطرافها الحدودية مع نهاية الزيارة في بلاد الجد كيم إيل سونغ التي تعميك لشدة خضرتها. فالصين حذرة من مخاطر التورط في حروب لا تتحكم هي في جذورها قبل نتائجها، وهذا يفسر ما يجمع الصين وأمريكا في مجلس الأمن بمطالبة كوريا الشمالية بالتخلي عن برنامجها النووي لا تقليصه. قد تكون أمريكا تجاوزت قمتها في العظمة لكنها ترتاح إلى الصين معتمدة للمركزية منذ توحيدها في العام ٢٢١ قبل الميلاد، وهي تنحني إقراراً بسلطات الإمبراطور العليا القديم. لم تكن مجتمعاً تبشيرياً ولم تصدر نظامها بل كان يأتي إليها المتطفلون من الغرب فيتوسعون ثقافاً لا غزواً.

وللتذكير، فإن الصين تتأهب للاحتفال في بداية أيلول المقبل بالذكرى السبعين لإنهاء الحرب العالمية الثانية، وكل كلام عن ثالثتها هو من باب المغالاة والتهويل.

هناك المجرى الـ «مقدس» في كوريا بلد الإلحاد حفاز اليابان وكوريا الجنوبية على الشهوة النووية. تصل منبع الزيارة أي الحدود مع كوريا الجنوبية «الشقيقة» للتسرق من هناك بالمناظير الدقيقة على المناورات الأمريكية الكورية الجنوبية المتكررة، والاستماع إلى ضوضاء تركة الانقسام اليومي الحافل بالأغاني الوطنية وتبادل الاتهامات والاستفزازات عبر مكبرات الصوت الضخمة. مظاهر عاطفية ملفوفة بقساوة الهيبة والرعب لكنها ممهورة بالمرارة والشوق، أو الدمع الدفين الذي لا تفصح عنه قسمات الوجوه العسكرية ولا حتى سحن الأقارب حنيناً إلى تاريخ واحد قديم. شجاعة أن ترمي السلام من هناك نحو الأهل في الجنوب:

«هان يونغ ها سيمنيكا» باللغة الكورية. لماذا وصلنا إلى هناك؟

في العام ١٩٨٦، قام سفير كوريا الشمالية في بيروت، بعد عشاء، بعرض فيلم سياحي عن بلده، وسألني عن الانطباع. أجبت: لا تغري الصور العين بقدر الواقع. بعد أسبوعين وصلنا بيونغ يانغ على متن طائرة روسية غطت وأقلعت على عجل بسبب قصف المطار في بيروت. كانت الزيارة أشبه بمغامرة فكرية وسياسية إلى بيونغ يانغ العاصمة الوحيدة في العالم المسكونة يومذاك بشخص، أو زعيم واحد هو كيم إيل سونغ ومنه تتفرع الأمة. ترتفع تماثيله وصوره الهائلة في الشوارع والساحات العامة، وإليها أضيف حتماً، في عصر تحطيم التماثيل، تماثيل أخرى مشابهة لوريثه كيم يونغ أون ثم الرئيس الحالي كيم جونغ إيل. قد نتصور حقاً ما يتمتم به الناس عند مرورهم أمامها وحولها مسكونين برهبة التحديق بها.

الناس؟ تراهم هناك عبر السيارة الأوروبية السوداء يشابهون جيوشاً من «النمل البشري» الساعي في الأرض بجلد وعظم ولباس بسيط يجعل الناظر عاجزاً عن التفريق بينهم إذ تختلط عليه الوجوه التي ترافقه أو تعرف إليها للتشابه الفظيع بينهم أفراداً/ شعباً، ساعياً لإبراز وجه كوريا الحضارية المكتفية. قد يتهم المرء ذلك، بكونها ردة فعل قوية على إحراقها وتحويل أمريكا أرضها رماداً في الخمسينات. أحادية قاتلة محشورة وغارقة في المناخ الأوبرالي. حتى الجبال هناك تخالها تغني مسكونة بالأصوات الجميلة والعازفات والعازفين للأناشيد حيةً أو عبر مكبرات الصوت التي تملأ أرضها وتشبع شعبها المصنوع والمنحوت والمهندس. الشعب يغني (هل هو يغني فعلاً؟) طيلة النهار في المصانع والمزارع والقواعد العسكرية. وعلى خرير نهر «تايدونغ»، وتحت لحظ جبال «بكتو» يغني أنه الشعب الأكثر سعادة على وجه الأرض. يغني مقرفصاً عند الأمسيات في انتظار الحافلات البطيئة أناشيد حماسية «للزوتشية»، وهو اسم للعقيدة الرسمية التي أطلقها كيم ايل-سونغ مزاوجاً فيها بين الشيوعية والاكتفاء الذاتي، ومعلناً أن الإنسان المرجع المطلق في بناء الأمم والأوطان.

والمستقبل الكوري؟ دعوات متضافرة لمنح هذا الشعب الكوري حريته وفك قوالبه، والحوار مع المجتمع الدولي، وسهرات في البيت الأبيض منذ كارتر حتى أوباما مع اليابان وكوريا الجنوبية حول مثلث من التوجس.

تنفتح زوايا المثلث لطرق كثيرة تتناقش بمستقبل كيم جونغ أون رئيس بلد السلالة الشيوعية الوحيدة الحاكمة في التاريخ مذ تسلّم مفاتيح اللوحات النووية.

مساجد البلدة القديمة

المسجد اليعقوبي

اشتهر باسم "زاوية الشيخ شمس الدين بن الشيخ عبدالله البغدادي"، وأيضا باسم "مسجد العسلي". يقع بمنطقة باب الخليل إلى الشرق من ساحة عمر بن الخطاب، بحارة الضوية المعروفة اليوم بحارة العسلية. يجاوره كنيسة تابعه للبروتستانت من الغرب، والنزل المسيحي من الشمال وبيوت ومساكن لمسيحيين من طوائف البروتستانت واللاتين والأرمن. ينسب إلى الشيخ شمس الدين بن عبدالله البغدادي.

يرجع أصل البناء إلى الفترة الرومانية، وتحديداً إلى القرن السابع أو الثامن ميلادي، وقد حول في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي إلى زاوية دعيت منذ ذلك الوقت باسم زاوية الشيخ يعقوب العجمي، التي هجرت إثر وفاته حتى جددت في الفترة العثمانية واتخذت مسجداً تقام فيه الصلوات الخمس.

يتألف هذا المسجد اليوم من بيت للصلاة مستطيل الشكل بامتداده من الشرق إلى الغرب، وتبلغ مساحته ٩٨م² ، وارتفاعه ٦م. وله محراب في الحائط الجنوبي، وساحة مكشوفة تتقدمه في الجهة الغربية مساحتها ٥×١٢م.

تشير سجلات محكمة القدس الشرعية إلى المسجد وأوقافه التي أفاد منها، أهمها حاكورة اليعقوبي الممتدة أمامه بين دور يسكنها آل الديسي وشارع سان جيمس ، وتقدر مساحتها بحوالي ١٠ دونمات، والأرض التي تقوم عليها كنيسة البروتستانت المجاورة وعقارات أخرى.

أميركا تكرر الدعوة إلى تقسيم العراق

سليم نصار

لا أحد في بريطانيا يعلم الأسباب الحقيقية لقرار تأخير صدور التحقيق الذي كلف السير جون شيلكوت بإجرائه سنة ٢٠٠٩، أي بعد مرور ست سنوات على الغزو الأميركي - البريطاني للعراق.

وقد اختارت حكومة حزب العمال في حينه لجنة مؤلفة من ثلاثة أعضاء لمعاونة السير شيلكوت في مهمته الصعبة، هم: السير لورانس فريدمان والسير رودريك لين والبارونة أوشباير أشار.

مطلع هذا الشهر طلب رئيس الوزراء ديفيد كاميرون من رئيس لجنة التحقيق الإسراع في إعلان التحقيق. وحجته أن أهل الضحايا (١٧٩ جندياً) يحرجون الحكومة بأسئلتهم المتواصلة حول هذا الموضوع. ويقول المتحدث باسم هذه المجموعة إنها قررت رفع دعوى ضد لجنة التحقيق بهدف إجبارها على تحديد موعد إعلان مضمون التقرير النهائي. وبما أن موعد صدور التحقيق لم يكن ملزماً، فقد استغل السير شيلكوت هذه الثغرة القانونية ليؤخر عملية رفع التقرير إلى الجهات المختصة.

وتدّعي اللجنة، التي شكلها رئيس الوزراء السابق غوردون براون، أنها بحاجة إلى مزيد من الاستجوابات، علماً أنها أجرت أكثر من ١٥٠ استجواباً مع شهود عسكريين وسياسيين بينهم رئيس الوزراء السابق توني بلير ووزير الخارجية جاك سترو. كما أنها قامت بمراجعة ١٥٠ ألف وثيقة رسمية سرية.

هذا الأسبوع، اشتدت حملات الصحف البريطانية التي اتهمت رئيس اللجنة بالتغطية على الارتكابات السياسية التي اقترفها بلير وعلى إهمال الأسباب الحقيقية التي جاءت بوزير الخارجية جاك سترو خلفاً لروبن كوك!

وكان كوك - الذي اكتشف عملية الخداع والتضليل التي افتعلها جورج بوش الابن مع توني بلير - قد أعلن استقالته أمام مجلس العموم. وبرَّر قراره الجريء بعرض الأساليب الملتوية التي استخدمها رئيس وزراء بريطانيا استجابة لرغبة الرئيس الأميركي. وذكّر في حينه أن كوك علم أن بيان الوزير الأميركي كولن باول، الذي أدلى به أمام الجمعية العامة، لم يكن أكثر من وثيقة تضليل استخدمها بوش للحصول على ضوء أخضر يسمح بضرب النظام العراقي. علماً أن تقرير مدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية نفى وجود سلاح نووي لدى القوات العراقية. وعلى رغم وضوح ذلك التقرير، فان بوش بالتعاون مع نائبه ديك تشيني، اتخذا قرار الحرب ضد العراق. وانضم إليهما بلير بعد زيارات متواصلة لواشنطن، تمت خلالها عملية التنسيق والتعاون.

الأسبوع الماضي ازدادت حدة الاتهامات بعدما أشارت صحيفة «التايمز» البريطانية إلى رئيس أركان القوات البريطانية السابق الجنرال نيكولاس هوتون، مدعية أن تقرير شيلكوت يعتبره مسؤولا أيضاً. وبحسب تقويمه، يرى أن صمت العسكريين شجع السياسيين على الاندفاع في التهوّر.

وكتبت جريدة «الدايلي ميل» افتتاحية طالبت فيها بضرورة فتح ملف حرب العراق بكامل تفاصيله المتعلقة بالموقف الأميركي أيضاً. وكان ذلك عبر المبارزة الانتخابية التي جرت بين هيلاري كلينتون وجيب بوش حول أوضاع العراق.

وانتقدت وزيرة الخارجية الأميركية السابقة بشدة أفكار مرشح الحزب الجمهوري جيب بوش، مركزة على شقيقه الرئيس جورج دبليو بوش، الذي اعتبرته المسؤول الأول عن دمار العراق. وقالت في شرح وجهة نظرها أن الأخطاء السياسية التي اقترفها أعادت الفوضى إلى البلاد بعد مرور ١٢ سنة على حرب أنهت نظام صدام حسين، ثم جاءت بتنظيم «داعش».

والثابت أن مرشحي الحزب الديموقراطي في الولايات المتحدة يريدون الكشف عن الملفات السرية التي تظهر بوضوح تورط الحزب الجمهوري في افتعال حرب العراق.

وفي هذا السياق، ادعت الصحف أن هناك أكثر من ثمانين ملفاً تتضمن تفاصيل الاجتماعات بين بوش وبلير قبل حرب ٢٠٠٣. وكان من الصعب مراجعة محتوياتها لأنها مصنفة بين محظورات «الأمن القومي»!

ولكن هذا الحظر لم يمنع وسائل الإعلام من المطالبة بضرورة الكشف عن أهم الوثائق التي نقلها جورج بوش من البيت الأبيض فور انتهاء ولايته سنة ٢٠٠٩. وهي حالياً موجودة في مكتبته الخاصة، مع كافة المحاضر المتعلقة بالزيارات التي قام بها بلير إلى مزرعة الرئيس الأميركي السابق في منطقة كروفورد خلال سنة ٢٠٠٣. وفي تلك المزرعة تم الاتفاق على غزو مشترك أميركي - بريطاني.

في ردها على هذه المطالب، قالت الإدارة الأميركية إنها تحتفظ بـ ٩٢ وثيقة مسجلة في محادثات كروفورد، بينها ٨٢ وثيقة مصنفة تحت عنوان: «سري جداً... الأمن القومي». وبين تلك الوثائق رسالة شخصية حملها إلى مستشارة الأمن القومي في حينه، كونداليزا رايس، مستشار بلير سير ديفيد مانينغ. وينهي رئيس الوزراء البريطاني رسالته بهذه العبارة: «أنت تعرف جيداً يا جورج، أنني أؤيدك في كل القرارات التي تتخذها».

ويتفق المحللون على إمكان زج هذه الوثائق في معركة الانتخابات الأميركية، الأمر الذي يؤكد رغبة ديفيد كاميرون في ربط تقرير جون شيلكوت بمصير الحزب الديموقراطي الأميركي. لذلك حرصت هيلاري كلينتون على كشف الدور المخادع والمريب، الذي تقاسمه جورج دبليو بوش مع صديقه توني بلير، في تدمير العراق وتفكيك وحدته الوطنية.

وبدلاً من الاعتراف بهذه الحقيقة، أعلن رئيس أركان الجيش الأميركي الجنرال راي اوديرنو أنه يرى في تقسيم العراق حلاً وحيداً لإنهاء الصراع بين السنّة والشيعة. وعلى الفور هاجمه رئيس الوزراء حيدر العبادي متهماً إياه بالجهل وقصر النظر.

واستند الجنرال الأميركي في تحذيره على سلسلة وقائع عاين هو شخصياً تفاعلاتها، عندما كان قائداً لقوات بلاده في العراق بين ٢٠٠٨ و٢٠١٠. وردّ على انتقاد العبادي بإحالته على بيانات وزارة حقوق الإنسان في الحكومة العراقية (ألغيت مؤخراً) لعل في ذلك ما يدعم وجهة نظره.

وكانت هذه الوزارة قد أعلنت قبل فترة وجيزة عن مقتل نحو خمسة آلاف نسمة، نتيجة أعمال إرهابية جرت في ١٢ محافظة بين حزيران٢٠١٤ وحزيران ٢٠١٥.

جاء حديث الجنرال الأميركي عقب التظاهرة الضخمة التي احتلت شوارع البصرة، احتجاجاً على انقطاع الكهرباء التي أنفق نوري المالكي على بناء شبكتها مبلغ ٤٥ بليون دولار.

وعندما كان الشارع البغدادي يستعد لدعم إصلاحات العبادي، عبر تظاهرة تضم مختلف شرائح المجتمع، تبنى تنظيم «داعش» تفجير شاحنة مفخخة وسط «مدينة الصدر» أدى إلى مقتل ستين شخصاً وإصابة أكثر من مئة. وجاء هذا التفجير بعد أيام على تبني التنظيم تفجيرين استهدفا مناطق ذات غالبية شيعية، ما أدى إلى قتل ثلاثين شخصاً.

والثابت أن تقسيم العراق على قاعدة طائفية موزعة بين الشيعة والسنّة، لم يكن الخيار الوحيد الذي طرحه العسكريون الأميركيون أمام الإدارة والكونغرس. ففي أول اقتراح عرضه الجنرال جوزيف دان فورد أمام الكونغرس، حرص على رسم مستقبل العراق تحت هيمنة القوتين النافذتين عسكرياً، وهما الشيعة والأكراد.

وقال إن تنظيم «داعش» استقطب أبناء الطائفة السنيّة بعد تمركزه في العراق وسورية، الأمر الذي جعل من الصعب اختراق سلطته من دون مساندة خارجية. خصوصاً بعدما تسلل بواسطة أنصاره الإقليميين والأجانب، إلى المغرب العربي وبلدان أفريقيا. وبحسب التوزيع الديموغرافي، فان «داعش» العراق يضم ثمانين في المئة بين مقاتليه من العراقيين وعشرين في المئة من دول عربية وأجنبية. بينما «داعش» سورية لم يستقطب أكثر من عشرين في المئة من السوريين، في حين عزّز علاقاته بجماعات خارج الحدود، مثل تونس واليمن والسعودية وليبيا وتركيا. إضافة إلى جماعة «أنصار بيت المقدس» التي تقوم بعمليات إرهابية في شبه جزيرة سيناء المصرية.

أما في بداية الغزو الأميركي للعراق فان الحاكم بول بريمر كان محبذاً لإجراء تقسيم ثلاثي يضم الشيعة والسنّة والأكراد. وفي تصوره إن مثل هذه الفيديرالية ستجمع الكيانات الرئيسية الثلاثة مع عاصمة اتحادية هي بغداد. ويبدو أن هذه الصيغة خرجت من التداول بعد إبرام الاتفاق النووي الأميركي - الإيراني.

ومع أن هذا الاتفاق لم يتعرض للمشاكل الإقليمية الناجمة عن تدخل طهران في شؤون سورية والعراق ولبنان واليمن... إلا أنه من جهة أخرى يطمئن المرشد الإيراني علي خامنئي بأن منطقة الخليج ستصبح خالية من الوجود العسكري الأميركي. علماً أن واشنطن ظلت محتفظة بحاملة طائرات طوال السنوات السبع الماضية.

منتصف هذا الشهر، أعلن الأميرال جون ريتشاردسون، رئيس العمليات البحرية، أن حاملة الطائرات «ثيودور روزفلت» ستنتقل إلى المحيط الهادئ خلال شهر تشرين الأول المقبل. وستحل محلها في منطقة الخليج حاملة الطائرات «هاري ترومن» في آخر فصل الشتاء. علماً أن ريتشاردسون تحدث أمام مجلس الشيوخ عن ضرورة إبقاء الولايات المتحدة في حال خلت مياه الخليج من حاملة طائرات يمكن استخدامها لتسديد ضربات جوية ضد «داعش». وبسبب هذا الفراغ العسكري الذي أقرّه الرئيس باراك أوباما بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة، ستصبح قاعدة «انجرليك» في تركيا هي منطلق الهجمات الجوية للطائرات الحربية الأميركية.

من المتوقع أن تصادق إيران والولايات المتحدة على الاتفاق النووي ب